

الحقول الزمنية لاتخاذ القرارات الرعي - زراعية لدى الفلاحين في البيئات شبه الجافة بالمغرب دراسة في الإيكولوجيا الثقافية

محمد الأسعد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بنمسيك

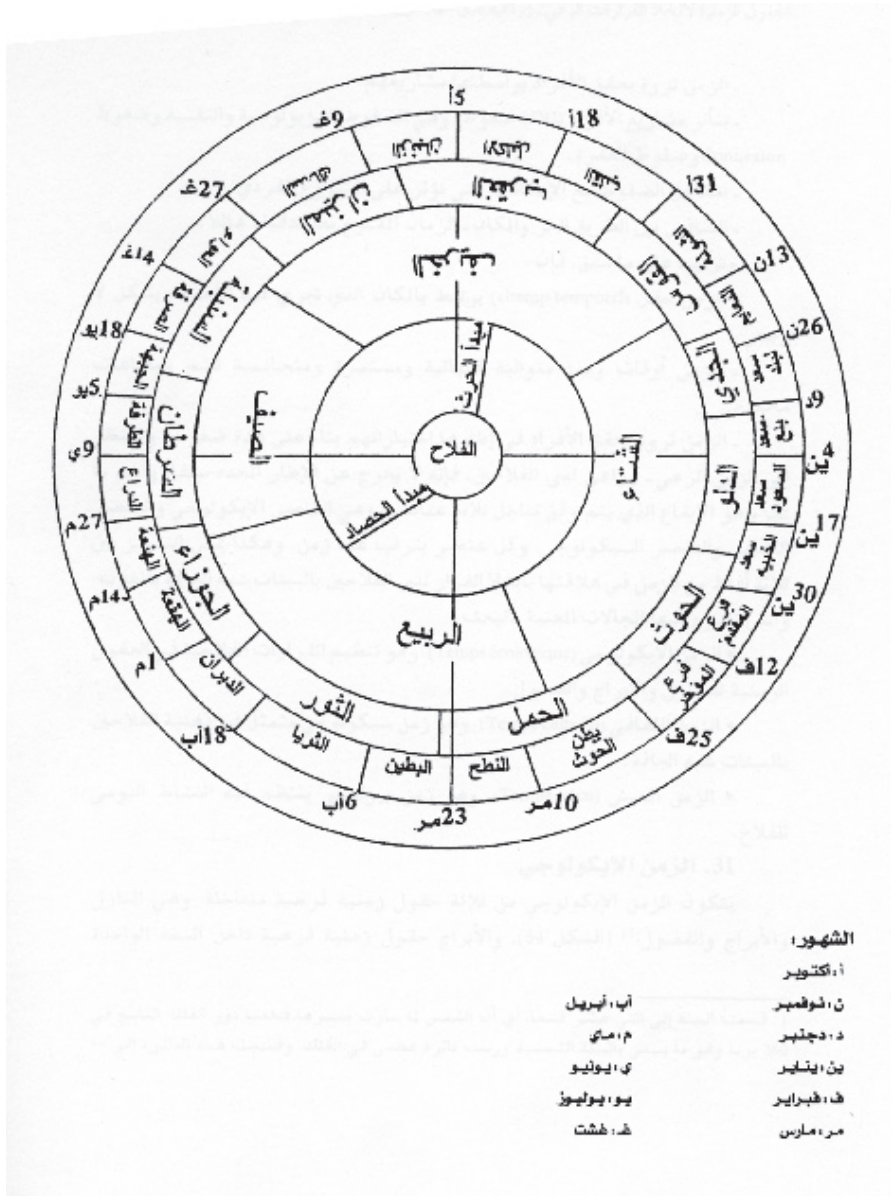
مدخل عام

أولاً. السياق العام

إذا كانت القرارات هي الترجمة الإجرائية لاختيارات محددة، فإنها لا تتم خارج الزمن. فالزمن حقل تجرى فيه يشكل لا رجعي الكائنات في تغييرها، كما تجرى فيه الأحداث والظواهر في تعاقبها. لا يمكن فصل المحل الزمني عن السياق العام للموضوع قيد المعالجة. يتمثل السياق العام للموضوع في البيئات شبه الجافة بالمغرب المعاشة من طرف الفلاحين الذين يعتمدون في أنشطتهم على الفلاحة المطرية.

تعتبر البيئات شبه الجافة المحيط الأيكولوجي لظروف المخاطرة والشك. وبالنظر إلى امتدادها المجالي نجد أنها تمثل 60% من الأراضي الزراعية، مما يعكس المكانة التي تحتلها في نظام الانتاج الفلاحي. وتشكل البيئات شبه الجافة بالمغرب المجال التاريخي لانتشار زراعة

الشكل 1 : تنظيم الحقل الزمني الأيكولوجي



الحبوب وتربية الماشية منذ عهد المرابطين وخاصة منذ العهد الموحد في الفترة الوسيطية الثانية (منذ القرن XII الميلادي) إذ ارتبطت الزراعة بتربية الماشية في إطار نظام رعي-زراعي. وقد عرف هذا النظام تحولات عدة بين التوسع والتراجع حسب التغيرات المناخية والضغط السكاني والتحويلات السياسية والاجتماعية التي عرفها المغرب منذ تلك الفترة. يشكل هذا السياق العام اطارا لتكون الحقول الزمنية في علاقة جدلية مع الأمكنة (البيئات شبه الجافة)، ولهذا لا يمكن فهم علاقة الحقول الزمنية باتخاذ القرارات لدى الفلاحين دون وضعها في هذا السياق.

ثانيا - إشكالية البحث

أ. الاتجاهات المعرفية العامة لمفهوم الزمن.

يكتسي مفهوم الزمن في علاقته بالمكان معاني عدة حسب الاتجاهات المعرفية المؤطرة للجغرافيا. يمكن التمييز في هذا الباب بين ثلاثة معاني لمفهوم الزمن تختلف حسب ثلاث اتجاهات معرفية وهي الاتجاه الوضعي المحدث والاتجاه الراديكالي والاتجاه السلوكي.

الجدول 1. مفهوم الزمن والمكان حسب الاتجاهات المعرفية في الجغرافيا

الموضوعات الجغرافية	الاتجاه الوضعي المحدث	الاتجاه الراديكالي	الاتجاه السلوكي
أهم أمكنة البحث	أمكنة جيواقتصادية	أمكنة مادية	أمكنة معاشة
أهم الموضوعات المدروسة	هندسة التوطنات وميزانيات المكان-الزمن	علاقات اجتماعية	أمكنة معاشة وقيم اجتماعية
إدماج البعد الزمني	تمثل الزمن الكوني	زمن طويل لصراع الطبقات الاجتماعية: دراسة أنماط الانتاج وإعادة الانتاج	زمن اجتماعي طويل ومدة زمن طويل لتطور الدهنيات، سيكولوجية الإدراك الزمني وكلفة طاقة

المصدر: Bailly, A. 1998 - op.cit 22

مفهوم الزمن لدى الاتجاه الوضعي المحدث هو ميزانية زمنية (Budget temps) تعد بمثابة إطار للتوطنات الجغرافية وهي نتاج لعوامل اقتصادية. أما الاتجاه الراديكالي فيعتبر الزمن حقلا للصراعات الاجتماعية، في حين يرى الاتجاه السلوكي أن الزمن يرتبط بإمكانة معاشة وقيم اجتماعية. إن الأزمنة الثلاثة في علاقتها بالمكان هي أزمنة كونية (الاتجاه الوضعي الجديد) أو أزمنة مادية (الاتجاه الراديكالي) أو أزمنة معاشة (زمن سلوكي).

وترتبط على ذلك فإن الزمن والمكان بالمفهوم الجغرافي مثلا زمان. ويعد هاجرشتراند (Hägerstrand) أول جغرافي نمذج مفهوم الزمن بناء على نظريته التشيدية إذ اعتبر الزمن ثروة يحقق الأفراد بواسطتها مشاريعهم، التي تتأثر بثلاثة ضغوط، وهي الضغوط الفسيولوجية والتقنية وضغوط القدرة، التي تتفاعل مع الإمكانيات التي تؤثر على المشروع الفردي (Bailey, 1982).

ب. جدلية الزمن والمكان من زاوية الإيكولوجيا الثقافية وعلاقتها

باتخاذ القرار

تهتم الإيكولوجية الثقافية بالسيرورة الطبيعية للإنسان في مختلف البيئات والآثار الناجمة عن تدخله. وتعد الإيكولوجية الثقافية فرعا لإحدى المدارس الجغرافيا المكونة للحقل المعرفي الجغرافي وهي المدرسة البيئية (Haggett, 1973). تحاول الإيكولوجية الثقافية تفسير سلوكيات الإنسان بناء على عاملين متفاعلين وهما النظام البيئي والنسق الثقافي. ولهذا فإن الحقل الزمني من زاوية الإيكولوجيا الثقافية يفسر بناءا على هذين العاملين. ومن ثم فإن مفهوم الزمن ذوبعدين مترابطين في إطار السياق العام للمخاطرة والشك بالبيئات شبه الجافة وهما: البعد الكوني والبعد السلوكي. البعد الأول للزمن هو بعد إيكولوجي، أما البعد الثاني فهو بعد إدراكي. ويمكن أن نصلح على ذلك بالزمن الإيكوثقافي. وتمثل الحقل الزمني الإيكوثقافي في ثلاثة:

- الزمن الإيكولوجي والزمن الثقافي والزمن المعيش. الزمن الإيكولوجي (Temps écologique)، هو تنظيم القرارات الفلاحية في الحقل الزمني للمنازل والأبراج والفصول.

الزمن الثقافي (Temps culturel)، وهو زمن سيكولوجي متمثل في ذهنية الفلاحين بالبيئات شبه الجافة.

الزمن المعيش (Temps vécu)، وهو زمن بيولوجي ينتظم فيه النشاط اليومي للفلاح.

ج. السؤال العام

ترتبا على ما سلف يمكن بلورة الإشكالية العامة للبحث في السؤال التالي:
كيف تؤثر المحقول الزمنية على اختيارات الفلاح الرعي-زراعي في بيئات شبه جافة بالمغرب؟

ثالثا. الأهداف.

يهدف هذا البحث دراسة اختيارات الفلاح (قرارات) الرعي - زراعية في علاقتها بالمحقول الزمنية الإيكو- ثقافية. ومن تم تتبنى هذه الدراسة المسلمات التالية كإطار لتنظيم وتوجيه المعرفة في الموضوع:

- الزمن الإيكوثقافي هو حقل يؤثر على قرارات الفلاحين واختياراتهم الرعي - زراعية في بيئات شبه جافة. تتمثل هذه الاختيارات في الأنشطة الرعي - زراعية التي تجسد سلوك واختيارات استراتيجية محددة لإعادة إنتاج النظام الرعي - زراعي في بيئات احتمالية غير مؤكدة سواء بشكل واع أو بشكل غير واع.

- الزمن تغير مستمر ووسط غير محدد وهو حركة تتم في المكان والزمان، وهي متعددة ذات ثلاث خصائص: اللانهاية والاستمرارية والتجانس. والزمن المتجانس لا يتم بدون إيقاع، هو زمن مستعمل ومنظم ومتناسك عكس الزمن المرفوض الذي يعد زمنا مشتتا وغير فعال.

- الفعالية الزمنية (efficacité temporelle) تجعل من الزمن قوة. والزمن هو حقل للاختيارات والفعل. هذه الاختيارات هي قرارات تتخذ في حالة المخاطرة. والشك في بيئات شبه جافة. ونظرا لاهتمام البحث بعلاقة الاختيارات بالفلاح في وسط طبيعي شبه جاف فإن حالات الشك والمخاطرة والصراع تطبع هذه العلاقة.

رابعاً. منهجية البحث

اعتمد البحث على استراتيجية محددة لمعالجة الموضوع وهي البحث الكيفي باعتماد الأمثال الشعبية علاوة على اعتماد البحث الميداني لمعينة واختيار صدقية القرارات في علاقتها بالسلوكيات التي يمارسها الفلاحون، كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن هذا البحث هوجزء من بحث ميداني دام أزيد من عقد من الزمن تم إنجازاه في إطار أطروحة لنيل دكتوراه الدولة (محمد الأسعد، 2002).

1. الزمن الإيكولوجي

يتكون الزمن الإيكولوجي من ثلاثة حقول زمنية فرعية متداخلة، وهي المنازل والأبراج والفصول (الشكل 1)، والأبراج حقول زمنية فرعية داخل السنة الواحدة وعدتها 12 برجاً. أما المنازل فعبارة عن حقول زمنية فرعية داخل السنة وعدتها 28 منزلة وعدة كل منزلة 13 يوماً، والمنازل مقسومة على البروج الإثني عشر وموزعة عليها. أما الفصول فهي أربعة موزعة على السنة ومدة كل فصل 91 يوماً. تنتظم الأبراج والمنازل والفصول في الزمن لتشكّل ما نسميه بالحقل الزمني الإيكولوجي؛ الذي له علاقة باختيارات الفلاحين الرعي - زراعية. وتعد التساقطات المطرية عاملاً إيكولوجياً (facteur écologique) أساسياً لا يمكن فصله عن تنظيم الحقل الزمني الإيكولوجي.

أولاً. توطر المنازل والأبراج والفصول اختيارات الفلاح في نموذج

متداخل الهالات

إن الخاصية الأساسية لعلاقة الحقول الزمنية بقرارات الفلاحين الرعي - زراعية أنها علاقة متداخلة الهالات، يوجد في مركزها الفلاح الذي يدركها نظراً لتجربتها في وعيه. يتأطر القرار الرعي - زراعي لدى الفلاحين بالحقول الزمنية للأبراج والمنازل والفصول. يتخذ الفلاح أربعة أنماط من القرارات في إيقاعات زمنية محددة بأربعة حقول زمنية إيكولوجية :

- قرارات الحرث المبكر وزراعة الحبوب، وتتم في فصل الخريف الذي يوافق ثلاثة أبراج (الميزان والعقرب والقوس)، والتي تقسم بدورها إلى تسع منازل تبدأ من منزلة الغفر (18 أكتوبر الفلاحي) وتنتهي عند منزلة البلدة (16 يناير الفلاحي).

- قرارات زراعة الذرة والقطاني والعناية بالحقول، وتتم في فصل الشتاء الذي يضم ثلاثة أبراج (الجددي والدلو والحوت)، والتي تقسم بدورها إلى تسع منازل تبدأ من منزلة سعد الذابح (17 يناير الفلاحي) وتنتهي عند منزلة بطن الحوت (4 أبريل الفلاحي).
- قرارات العناية بالمزروعات والاهتمام بنتاج الماشية وتسمينها ودزها، وتتم في فصل الربيع الذي يوافق ثلاثة أبراج (الحمل والثور والجوزاء)، وتنقسم بدورها إلى تسع منازل تبدأ من منزلة السرطان (5 أبريل الفلاحي) وتنتهي عند منزلة الدراع (29 يونيو الفلاحي).
- قرارات جمع المحاصيل الزراعية وتحديد عقود تربية الماشية والإرعاء الطليق، وتتم في فصل الصيف الذي يوافق ثلاثة أبراج أيضا (السرطان والأسد والسنبلة)، وتنقسم بدورها إلى تسع منازل.

ثانيا. ينتظم الزمن الإيكولوجي في نموذج التطور الدوري المتناقص

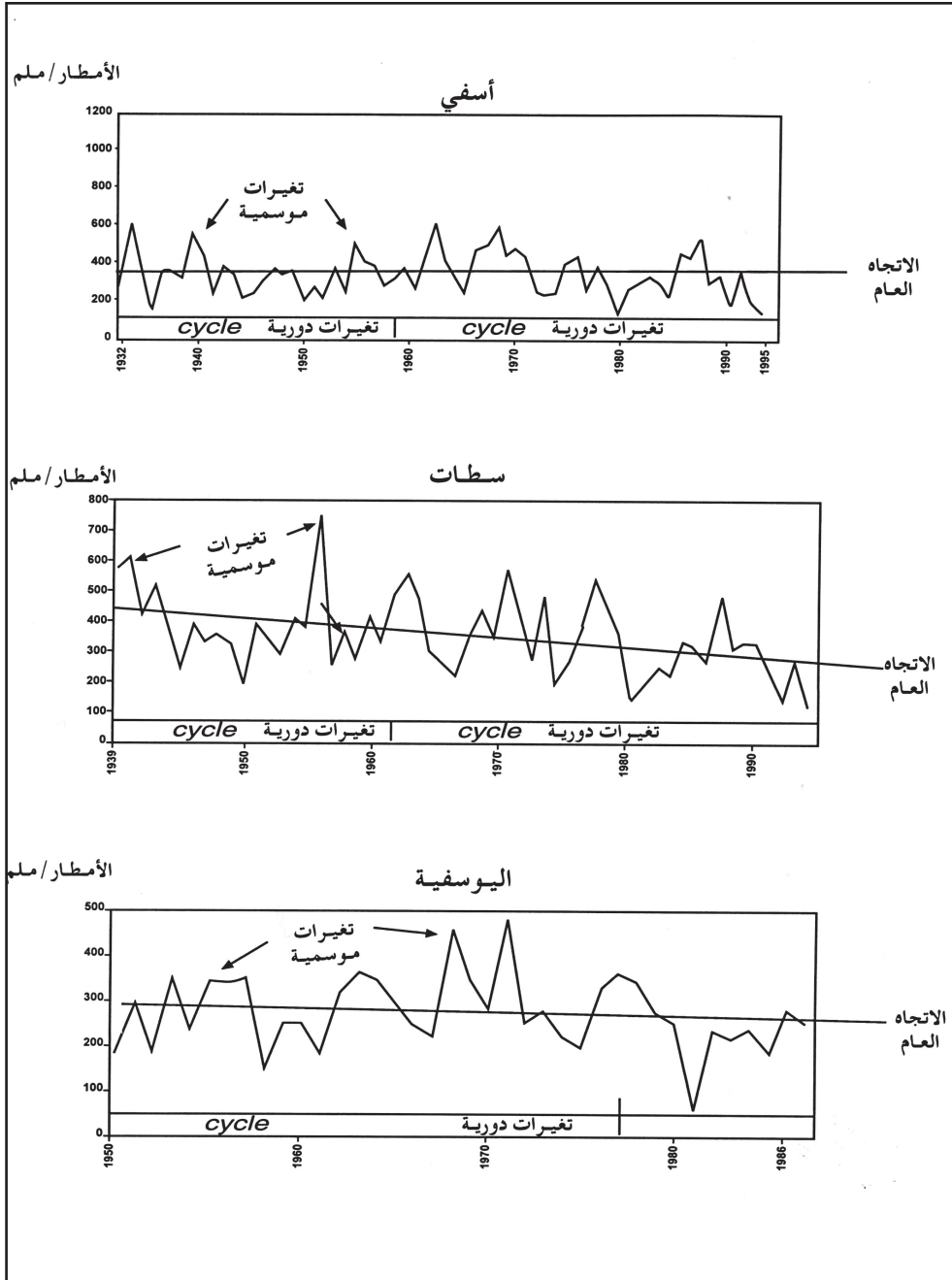
تعد التساقطات المطرية العامل الإيكولوجي الأساسي الذي ينظم الإيقاع الزمني للفلاح، فهو متداخل مع الأبراج والمنازل والفصول. وسننظر إلى التغير في التساقطات المطرية اعتمادا على محطات أسفي وسطات واليوسفية، لاستخلاص النموذج العام لتطور تنظيم الزمن الإيكولوجي، وربطه بطبائع المناخ وقرارات الفلاحيين الرعي - زراعية في إطار الأبراج والمنازل والفصول. يمكن استخلاص ثلاثة أنواع من التغيرات المطرية والتي تعكس ثلاثة أنماط من الإيقاعات الزمنية المعيشة :

- الاتجاه العام والتغير الدوري والتغير السنوي. يتميز الاتجاه العام للتساقطات المطرية بأمد التغير الطويل واتجاه الأمطار نحو التناقص، ويعد الجفاف عاملا ثابتا في حين تعد الرطوبة عاملا متغيرا. يتعدى المدى الزمني للاتجاه العام 27 سنة.

- التغير الدوري للتساقطات المطرية ذو أمد متوسط لا يتعدى 27 سنة، وهو تنازلي أيضا إذ يتميز بسيادة ظاهرة تناقص الكميات المطرية، كما يعد الجفاف عاملا ثابتا نظرا لتواتره (الشكل 2).

- التغير السنوي قصير الأمد ويمتد على مدى يقل عن 12 شهرا وهو ذو تطور دوري متناقص أي أنه يتميز بتطور مركب نظرا لغلبة طابع عدم الانتظام باعتباره عاملا ثابتا.

الشكل 2 : التساقطات المطرية ونمط التغير الإيكولوجي



الجدول 2 : نظام التغير المطري ومسألة الزمن

تغير سنوي	تغير دوري	اتجاه عام	
جفاف < رطوبة قصيرة	جفاف > رطوبة متوسط	تناقص	نوع التغير
تطور دوري متناقص	دوري تنازلي	طويل	أمد التغير
عدم الانتظام	جفاف	خطي تنازلي	نمط التغير
انتظام	رطوبة	جفاف	العامل الثابت
		رطوبة	العامل المتغير

ثالثا. علاقة التغير الدوري لطبائع المناخ بالمنازل والأبراج والفصول

وقرارات الفلاح

تتميز علاقة التغير في التساقطات المطرية بالتداخل والترابط بين المنازل والأبراج والفصول وقرارات الفلاحين الرعي - زراعية. ويمكن استخلاص التغير بناء على طبائع المناخ في أربعة حقول زمنية إيكولوجية فرعية وهي (الجدول 3) :

- الزمن الرطب الجاف.

- الزمن الرطب.

- الزمن الجاف الرطب.

- الزمن الجاف.

تتغير قرارات الفلاحين الرعي - زراعية حسب الأزمنة الفرعية في إطار الأبراج والفصول. يوافق الزمن الرطب الجاف فصل الخريف، وبتدئ من منزلة "الغفر" وينتهي عند منزلة "البلدة"، وهذا الزمن هو مسرح للحرق المبكر والرعي الطليق. أما الزمن الرطب فيشمل فصل الشتاء ويمتد من منزلة "سعد الدابح" إلى منزلة بطن الحوت؛ لأنه يعد فترة أساسية في الاختيارات الرعي - زراعية؛ إذ تنمو فيه النباتات الزراعية. أما الزمن الجاف الرطب فيشمل فصل الربيع، ويمتد من منزلة "الشرطان" إلى منزلة "الدرع"، وفيه تنمو النباتات وتنضج المحاصيل الزراعية ويقوم الفلاح بتسمين الماشية والعناية بالحقول. أما الزمن الجاف فيوافق فصل الصيف، ويمتد من منزلة "النتر" وينتهي عند منزلة "السماك"، وتجمع فيه المحاصيل الزراعية ويصبح الإرعاء الطليق في الحصاد مشاعا.

2. الزمن الثقافي

الزمن الثقافي مجموعة قيم ورموز تساعد الفلاح على إدراك الحقل الزمني وتوظيفها في اتخاذ القرارات الرعي - زراعية. وتجسد الأمثال الشعبية الوعي بالزمن الإيكولوجي باعتباره بعداً ثقافياً موروثاً بالنظر إلى الأبراج والمنازل والفصول. والمثل (Proverbe) صيغة ذات خصائص شكلية قارة رمزية أو مجسدة تعبر عن حقيقة معاشة أو حكمة عملية وشعبية مشتركة بين جماعة اجتماعية. ويمكن تقسيم الزمن الثقافي إلى أربعة حقول باعتماد معياري الأمثال والمنازل :

- الحقل الزمني الأول : يمتد من منزلة الغفر إلى منزلة البلدة.
- الحقل الزمني الثاني : يمتد من منزلة سعد الدابح إلى منزلة بطن الحوت.
- الحقل الزمني الثالث : يمتد من منزلة الشرطان إلى منزلة الدراع.
- الحقل الزمني الرابع : يمتد من منزلة النثرة إلى منزلة السماك.

أولاً. الحقل الزمني الأول : 18 أكتوبر إلى 17 يناير

يبدأ الحقل الزمني الأول من منتصف شهر أكتوبر الفلاحي وينتهي عند منتصف شهر يناير الفلاحي، ويوافق فصل الخريف.

يتميز الزمن الثقافي للحقل الزمني الأول بخاصيتين أساسيتين، وهما الأمطار الكافية والمحصول الزراعي الجيد، كما يعبر المثل الشعبي :

«لرَواتٌ في الشُّولة والنَّطْحُ والنِّيسانُ يَجي لُعامُ بَلا نُقْصانُ».

وتتزامن منزلة الشولة مع دخول شهر دجنبر. ويتأكد كذلك بالنظر إلى معتقدات الفلاحين التي تربط بين الزراعة في شهر دجنبر وضمان المحصول الزراعي للإعالة. ويعبر عن هذا الموقف المثل الشعبي :

«اللِّي بَغِي العَوْلَة يَزْرَع الزَّرْع في الشُّولة».

وهذا ما يمكن تسميته بالزراعات الشتوية. أما الخاصية الثانية للحقل الزمني الأول فتتعلق بقساوة المناخ المتمثل في اشتداد البرد وذلك ابتداء من منزلة النعائم، كما يعبر المثل الشعبي :

«النعائمُ البَرْد مَن لَرَض قائمٌ ..».

ثانيا. الحقل الزمني الثاني : 18 يناير إلى 18 أبريل

مبدأ الحقل الزمني الثاني منتصف شهر يناير الفلاحي وانتهائه عند منتصف شهر أبريل الفلاحي، ووافق فصل الشتاء.

يتميز الحقل الزمني الثاني بخاصيتين أساسيتين وهما قساوة المناخ وأهمية التساقطات المطرية في نجاح السنة الفلاحية وذلك في أوقات معينة من الشهور المكونة لهذا الحقل وخاصة شهري يناير وفبراير، ويعبر عن ذلك بالأمثال الشعبية التالية :

«لَرَوَات فِي النَّيْرِ كَمَلِّ الزَّرِيْعِ بِالْحَائِرِ».

أي أن تهطل المطر الغزير، وهو ما عبر عنه "لَرَوَات" في شهر يناير (الناير)، ينبئ بسنة فلاحية جيدة. ولا يخلو تهطل المطر في شهر أبريل من أهمية أيضا :

«لَطَاحَتْ الشِّتَا فِي فَبْرَايْرِ كَتَعْمَرُ لَغْرَايْرِ».

أي أن سقوط المطر في شهر فبراير يتسبب في ملء "لغراير" (جمع غرارة وهي القرية)، وهذا المعنى كناية عن غزارة الأمطار، ووافق شهرا يناير وفبراير منزلتي سعد الدابح وسعد بولع ؛ إذ تتميزان باشتداد البرد أيضا :

«سَعْدُ الدَّابِّحِ لَا وَجُوهُ تَشَابَهُ وَلَا كَلَابٌ تَنَابَحُ».

«سَعْدُ بُولَعٍ يَتَجَمَّدُ الْمَا فَرَأْسَ لُقُورَعُ».

يوافق سعد الدابح النصف الثاني من شهر يناير بينما يوافق سعد بولع النصف الأول من شهر فبراير إلى حدود منتصف شهر مارس، وابتداء من النصف الثاني من شهر فبراير تعرف الحرارة الاعتدال مما يسمح بنمو النباتات وظهورها.

ثالثا. الحقل الزمني الثالث : 19 أبريل إلى 18 يوليوز

مبدأ الحقل الزمني الثالث من منتصف شهر أبريل الفلاحي إلى منتصف شهر يوليوز الفلاحي، ووافق فصل الربيع.

يتميز الحقل الزمني الثالث بنضج المحاصيل الزراعية ابتداء من شهر أبريل :

«إِبْرَيْلُ يَجْبُدُ السَّبُولَةَ مَن قَاعُ لَيْبِرِ».

ويؤكد المثل الشعبي الآخر ذلك :

«مَارَسْ وَلَاذْ وَإِبْرَيْلُ جَبَّادْ وَمَايْ كَيْفْ مَاصَابُو جَابُو».

الجدول 3 : علاقة قرارات الفلاحين الرعي-زراعية بالحقول الزمني الايكولوجي وبطبائع المناخ

الاختيارات		الفصول	الأبراج	المنازل
تربية الماشية	طبائع المناخ			
- رعي طليق - حرث مبكر	رطب جاف	الخريف	الميزان	الفغر الزبانان ثلث الإكليل
			العقرب	ثلثا الإكليل القلب ثلثا الشولة
			القوس	ثلث الشولة النعائم البلدة
- رعي محروس - زراعة الحبوب - نمو النباتات	رطب	الشتاء	الجبدي	سعد الدايح سعد بلع ثلث سعد السعود
			الدلو	ثلثا سعد السعود سعد الأخبية ثلث الفرع المقدم
			الحوت	ثلثا الفرع المقدم الفرع المؤخر بطن الحوت
- العناية بالحقول - تسمين الماشية - إرعاء طليق في المراعي - نضج النباتات	جاف رطب	الربيع	الحمل	السرطان الطن ثلث الثريا
			الثور	ثلثا الثريا الدبران ثلثا الهقعة
			الجوزاء	ثلث الهقعة الهنعة الدرع
- جمع المحاصيل الزراعية - ارعاء طليق في الحصاد وفي المراعي	جاف	الصيف	السرطان	النترة الطرف ثلث الجبهة
			الأسد	ثلثا الجبهة الخرتان ثلثا الصرفة
			السنبله	ثلث الصرفة العواء السمك

أي أنه في شهر مارس تزهو النباتات، وفي شهر أبريل يكتمل نضجها، أما شهر ماي فإن إنتاجه الزراعي يعد حصيداً للعمل الزراعي الذي قام به الفلاح في الشهور السالفة. ويوافق شهر ماي منزلتي البطين والثريا وهما فترة حصاد وجمع الغل :
«إلى دُخِلَ البطين، يَدْخُلُ الزرع لِبَطِينِ».
وفي منزلة «الثريا، نُشَوِّفُ التَّوَادِرَ مَبْنِيَةً وَالْمَطَّ عَلَى كُلِّ ثَنِيَّةٍ وَكُلُّ فِدَانٍ تَدِّي مَنِّ كَلِّي»

وهكذا بعد النصف الثاني من شهر ماي الموافق لمنزلة الدبران آخر فترة لنضج المحاصيل الزراعية :
«إلى دُخِلَ الدَّبرَانِ، يُطَيَّبُ الزَّرْعُ وَكَلِّفَ فَلَغْدَرَانِ».
أي أنه عند نهاية شهر ماي تنضج المحاصيل التي كانت موجودة في المنخفضات (الغدران).

وهذا ما يوافق ثلاث منازل، وهي سعد السعود وسعد لحيبة والفرع المقدم :
«فَسَعْدَ سَعُودِ بَاتَ رَزَقَ النَّحْلَةَ فَلَعُودِ».
«فَسَعْدَ سَعُودِ يَجْرِي لَمَّا فَلَعُودٌ وَتَسَخُنُ كُلُّ مَبْرُودِ».
«سَعْدَ لَحْبِي تَتَخَرُّجُ كُلُّ مَحْبِيَّةِ».
«مَلِّي يَدْخُلُ الْفَرْعُ الْمَقْدَمُ كُلُّ شَيْءٍ يَتَقَدَّمُ».
وإبتداء من منتصف شهر مارس تتم عملية الحرث. وهو ما يوافق منزلة الفرغ المؤخر:

«الْفَرْعُ الْمُوخِرُ اللَّيِّ حَرِثُ حَرِثُ وَاللِّي بَقَا بَقَا».
وتحتاج النباتات الزراعية إلى الأمطار في شهر أبريل وخاصة في النصف الأول منه الذي يوافق منزلة بطن الحوت :
«فَبَطْنِ الْحَوْتِ سَقِينِي وَلَا نَمُوتْ».

رابعا. الحقل الزمني الرابع : 19 يوليوز إلى 17 أكتوبر

مبدأ الحقل الزمني الرابع من منتصف شهر يوليوز الفلاحي إلى منتصف شهر أكتوبر الفلاحي، ويوافق فصل الصيف.

إن الوعي بالزمن الفلاحي في فصل الصيف يرتبط بالمناخ خاصة إذا كثر فيه دوي الرعد :

«لَتَكَلَّمَنَّ زَعْدٌ فَصَيْفٌ يَكُونُ فِيهِ لَمَرَضٌ وَالْهَيْفُ».

فكأن هناك علاقة سالبة بين دوي الرعد في الصيف وضعف السنة الفلاحية المقبلة، خاصة على المستوى الزراعي، مما يجعل الفلاح يفكر في تعويض خسارته برأسمال آخر وهو الماشية :

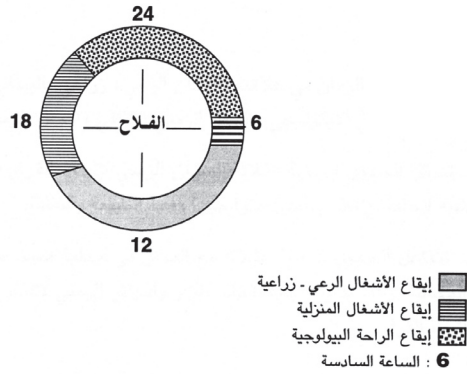
«إلى تَحْرُكُ الرُّعْدُ فَالسَّمَائِمُ دَبَّرَ رَأْسَمَالِكَ بِهَائِمِ».

وبناء على ما سلف، فإن الزمن الثقافي زمن مُدْرِك يمكن فهمه اعتمادا على الأمثال الفلاحية الشعبية. وينتظم السلوك الرعي - زراعي لدى الفلاح في إطار الحقل الزمني الإيكولوجي. وتعد التساقطات المطرية أكثر العوامل الإيكولوجية حضورا في الزمن الثقافي للفلاح بالبيئات شبه الجافة.

3. الزمن المعيش

يعكس الزمن المعيش السلوكيات اليومية أو الأسبوعية الإيقاعية (Rythmé) التي يנהجها الفلاح ؛ وتتميز بالخصائص التالية :

الشكل 3 : الإيقاع اليومي للفلاح



يتأطر الزمن المعيش لدى الفلاح بالبيئات شبه الجافة بثلاثة أنماط من الإيقاعات تنتظم على شكل ساعة (الشكل 3) :

- إيقاع الأشغال الرعي - زراعية، وتبدأ في الصباح الباكر إلى وقت العصر. وتمثل زهاء ثلث الميزانية اليومية.
- إيقاع الأشغال المنزلية وتبدأ بعد وقت العصر إلى وقت العشاء وتهم تفقد الماشية وقضاء الحاجات الأساسية، وتمثل زهاء ربع الميزانية الزمنية اليومية.
- إيقاع الراحة البيولوجية، وهي فترة النوم وتمثل زهاء 40 % من الميزانية الزمنية اليومية.
- تختلف بداية ونهاية كل حركة من الحركات السالفة الذكر حسب الفصول وحسب نوعية الأنشطة ؛ إذ إن الحقل الزمني الإيكولوجي (طول الفصول أو قصرها) يؤثر مدد الحركات التي يسلكها الفلاح.
- إيقاع القرار الرعي - زراعي لدى الفلاح إيقاع منتظم حسب الفصول وحسب نوعية السلوكات، وهو إيقاع مندمج في المكان وفي الزمان، أي أنه أوقات ومدد متوالية لانهاية ومستمرة تكاد تنتظم على شكل ساعة متداخلة الهالات، يوجد في وسطها الفلاح (الشكل 56).

خلاصات

- أ. يتأطر مفهوم الزمان في علاقته بالمكان الرعي - زراعي بالبيئات شبه الجافة بثلاثة حقول : الحقل الزمني الإيكولوجي والحقل الزمني الثقافي والحقل الزمني المعيش.
- ب. تشكل الحقول الزمنية الثلاثة السياق الزمني لاتخاذ القرار لدى الفلاحين في البيئات شبه الجافة. وتتأثر بعاملين مترابطين، وهما الطبيعة والثقافة.
- ج. تتفاعل الحقول الزمنية الثلاثة مع المكان في جدلية مستدامة يمكن توطين امتداداتها المجالية، وكذا بداية ونهاية اتخاذ القرار والتواتر الزمني لاتخاذ القرار أو ما يسمى بإيقاع اتخاذ القرار.

المراجع

- الأسعد، محمد، (2002)، اتخاذ القرارات لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي - زراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب، دراسة في الإيكولوجيا الثقافية.
- Bailly, A, & Beguin, H. (1982). Introduction à la géographie humaine, Masson, Collection géographie.
- Bailly, S.B. (1998). La chronogéographie, in Antoine Bailly et al (edrs), Les concepts de la géographie humaine (pp. 223 - 228), Paris : Armand Colin.